مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد 08 العدد: 02 جـــوان (2024) ص 384/ 396

مدارات رمزي الليل والنخلة في شعر إقليم الكثبان المعاصر.

The orbits of the symbols of the night and the palm tree in the contemporary poetry

of the sand dunes territory.

سليمة عباس*
جامعة الوادي (الجزائر)
abbas-salima@univ-eloued.dz

علي دغمان
جامعة الوادي (الجزائر)
ali-doghmane@univ-eloued.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/01/28
تاريخ القبول:
2024/06./11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الليل
- ✓ النخلة
- ✓ الكثبان
- ✓ القصيدة الصحراوية
- ✓ الرمز
- ✓ الطبيعة

الملخص:

تسعى هاته الدراسة إلى معرفة طرائق تشكيل الرمز في القصيدة الصحراوية الجزائرية المعاصرة، ولعّل أبرز تلك الرموز رمزا الليل والنخلة اللّذان يعبر بهما الشاعر عن ما يريد؛ باعتبارهما عنصرين مهمين من عناصر الطبيعة في الصحراء . فصوّرهما الشعراء وتغنّوا بهما في أشعارهم، والدارس والمتأمل لشعر الكثبان الجزائري يجده غنيا بصور الليل والنخلة فهما مصدران مهمان لإلهام الشعراء ولتصوير حياة الصحراء. وسنتحدث في هذا المقال عن عديد الطرائق المستخدمة لليل و النخلة وقدرتهما على تصوير الطبيعة الصحراوية، والكشف عن ما قد يرمز له كل منهما بحسب استخدام كل شاعر. إذا ماهي الدلالات التي شكلها توظيف الشاعر الصحراوي الجزائري المعاصر لرمزي الليل والنخلة ؟

Article info

Received
28/01/2024

Abstract :

This study aims at knowing the methods of forming the symbols in the

*المؤلف المرسل

contemporary Algerian Saharan poem. These symbols include the night and the palm tree that allow the poet to express what he wants because they are two important elements of the Saharan nature. Thus, the poets depicted and used them in their works. In this line, he who is interested in the Algerian sand dunes poetry finds that it is rich with the images of the night and the palm tree as they are two important sources for the poets' inspiration and for the depiction of the life in the Sahara. Thus, this paper shall shed light on the methods used for the night and the palm tree and on their ability to depict the Saharan nature. Moreover, we reveal what the two symbols refer to according to the use of the poet. Based on what has been said, we raise the following problematic: "what are the semantics of the use of the night and palm tree by the contemporary Algerian Saharan poet?"

Accepted
11/06/2024

Keywords:
- ✓ *The night*
- ✓ *The palm*
- ✓ *The dunes*
- ✓ *The Saharanpoem*
- ✓ *The symbol*
- ✓ *The nature*

1. مقدمة:

عرف الإنسان منذ بداياته الأولى بتفاعله مع الطبيعة بكل عناصرها، فحاول البحث عن حقيقتها وكشف أسرارها؛ وهذا ما دفع الأدباء بالكتابة عنها وعن تلك القوة التي تمتلكها وتمتاز بها، حيث تعتبر الصحراء مجالا خصبا كتب عنها العديد من الشعراء وتغنوا بها خاصة أولئك الذين ولدوا وعاشوا في أحضانها فكتبوا عنها وصوروا كل مظاهر الحياة بها في قصائدهم فللبيئة تأثيرها المباشر على المبدع. واستخدموا تلك العناصر كرموز لإيصال أفكارهم للمتلقي، «وقد استطاع الشاعر العربي المعاصر أن يواكب النقلة الأدبية الجديدة في العالم، فوجد في لغة الرمز الأداة التي توصل الحقائق والغايات، ولا تكتفي بالتوصيل والإيصال فقط، بل ترسخ ذلك في الأذهان وتثبته، ولا شك أن الإنسان لا يتذكر ولا يسر إلا بالأشياء التي أدركها بعد لأي مشقة وإعمال فكر »[1]، والليل والنخلة عنصران مهمان من عناصر الطبيعة التي زخر بها شعر الكثبان المعاصر، وقد أحاط الشعراء المعاصرون الليل والنخلة باهتمام كبير لأنهما ما يشكلان الصورة الحقيقية لطبيعة الصحراء فاختلفت دلالتهما من مبدع إلى آخر؛ فالنخلة رمز للعطاء والخير والشموخ والعلو والصبر وغيرها، أمّا الليل فرمز للحلم والنقاء والسحر والجمال والألم والمعاناة والمناجاة والشوق وغيرها.

وتسعى هذه الورقة البحثية المتمثلة في مدارات رمزي الليل والنخلة في شعر إقليم الكثبان المعاصر، للكشف عن كيفية توظيف رموز الطبيعة في الشعر الجزائري المعاصر وخاصة شعر إقليم الكثبان، وهذا بالاعتماد على رؤية تحليلية تأويلية لكل من رمزي الليل والنخلة وما الداعي والغاية من استخدامهما لدى كل شاعر.

2– رمزيــة الليل في شعر إقليم الكثبان المعاصر:

اختلف الشعراء المعاصرون في توظيف الليل في أشعارهم لأن له دلالات عديدة، وهذا ما يجعل منه مصدر إلهام لهم، فللشعر « في وصف الليل لوحات خالدات في متحف الفن تضاهي بدقتها أروع لوحاته في الآداب العالمية، إن

لم تفقها بنزعتها الوجدانية العميقة. فمنذ العصر الجاهلي والشاعر العربي ينفعل بجنبات الليل الواسعة ، يمد نحوه ناظريه فيستوحيه، ويستمد منه أسمى المعاني ودقائق التخيلات »[2] ، ويعرف اهتمام الشعراء بتوظيف رمز الليل فهو يحمل دلالات كثيرة ومتعددة كالسهر والسمر والهدوء والسكينة والحزن والألم والعشق والمناجاة والجمال والعبادة والتهجد وغيرها.

- في قصائد هنية لالة رزيقة*: تقول في قصيدة تحت عنوان "تراتيل لزمن الموت" :

« والموج بالحزن كم ألوى أناملـــــــه حتى يقبل بدرا عند تشـريــن

والحرف غنى بنبض العشب في أسفي ينساب زوبعــة ترنو لتلـحين

فالبدر حبلى تحاكيها ضفائرهـــــا حتى تعربد ليـلا خط من ديني »[3]

تتحدث الشاعرة عن البدر وهو صورة من صور الليل وهذا البدر الذي يطل في شهر أكتوبر والذي يوقظ الأحزان والجراح بمجرد ظهوره، وهذه الجراح والأحزان والآلام التي تمتد من أمواج البحر ملتفة بالحزن حتى تصل البدر، وهذا للدلالة على عمقها وشدتها في نفس الشاعرة، فقد صارت من شدة الألم تكلم البدر وتشتكي له تلك الآهات المدفونة في أعماقها، لقد بات الليل يؤذيها بقدومه فقد وصفته بالعربيد الذي يسكر فيؤذي الناس من حوله. كما استخدمت الشاعرة أيضا النجم وهو كذلك صورة من صور الليل فقالت:

«عندي النجوم تلت أحداق واحتكم فامتد في أفـقي نجم ليحويـني»[4]

تمتلك الشاعرة نجوما يحيطون بواحة أمواتها وهذا سبب حزنها الذي يظل يراودها فهي لا تستطيع نسيان من فقدتهم وفي كل ليلة تستذكرهم، وقد تقصد بالنجم الذي يمتد في أفقها ويحويها أرواح من فقدتهم فهم يرافقونها في ليلها.

وتتابع الشاعرة توظيفها لرمز الليل قائلة:

«فالليل جن وهذا الناي يعزفني لحنـا تخـالفه كل التلاحين»[5]

لقد جنّ ليل الشاعرة وصار النَّاي يعزف لحن حزنها وألمها فلم يعرف العالم كله حزنا وألما يشابه حزنها، لقد شبهت الليل بالإنسان الذي يصيبه الجنون من شدة التفكير والألم والحزن، وقد أبدعت الشاعرة في توظيفها لرمز الليل وهذا ما مكن القارئ من استشعار مدى ألمها الدفين وحزنها العميق.

تقول الشاعرة في قصيدة "تأسفات الألف الكسير":

«تأسف الألف

على ليلا شاحبا بين نجومه وقف

وفي مقلتيه نـــاي العذاب عزف

لضلوع الليل دس هواه فانكشف

إذ ضمه بين أصـــابه ثم خسف»[6]

تشبه المبدعة الإنسان بالألف الذي يقف بين نجوم الليل شاحبا وفي صدره كل آلام الدنيا، يتعذب والعذاب لا يفارقه، فالناي قد عزف لحن آلامه ومواجعه وعذابه الطويل، ذلك الحزن الذي يظهر بظهور الليل وتنكشف كل الأسرار المخبوءة التي يحاول إخفاءها نهارا، وتلك الأسئلة الكثيرة التي تهاجم العقل بحلول الليل. إن الليل رمز الألم و الحزن وكثرة التفكير وهو أيضا رمز الأوجاع وأطياف الراحلين وانكسار النفس والقلب على فراق الأحبة، كما أن الناي أيضا يوظف كرمز للدلالة على الحزن والعذاب.

تواصل الشاعرة توظيفها لرمز الليل في قصيدة بعنوان "غنائية الليل الأخير "، حيث كتبت القصيدة في مقاطع واستخدمت رمز الليل في بداية كل مقطع واستخدمت أيضا أسلوب النداء كأن الليل بإمكانه سماعها والاستجابة لندائها، فقالت:

«التهب يا ليل فينا وانتصر

وانحت التاريخ على لوح الحجر

كي يظل النور فينا منتشر

التهب يا ليل فينا واختصر

حاصر المنطق الأرعن الغر حتى الضجر

مزق العنبر الآن فينا و ابتدر

واعتلي أنفاسا من تلاويح العصر»[7]

يتبين لنا بدءا من العنوان أن القصيدة تدور حول إحدى الدلالات التي تستفاد من رمز الليل، وقد شبهت الشاعرة الليل بالنّار والإنسان فهي تناديه وتطلب منه أن يلتهب، ثم تطلب منه أن ينحت التاريخ على الحجر كأنه إنسان يتمكن من فعل ما تريد، إنها تطلب من الليل أن يختصر المسافات ويحاصر المنطق والتفكير علَّ روحها تهدأ، وتعود في كل بداية كل مقطع لتنادي الليل وفي كل مرة بطلب مغاير عن الطلب الذي سبقه، فتقول في مقطع آخر:

«إلتهب يا ليل فينا واستعر

مثل حلم ترعرع ما بين أحضان ليل مستقر

أو كوساد لهيب ينسل مثل شعر

إذ يناغي أحرف يمناك المستدر»[8]

تعود الشاعرة لتشبه الليل بالنار، إنها نار الحزن الذي تشعر به كل ليلة، ولتشكيل المشهد للقارئ استندت الشاعرة إلى عدة ألفاظ هي الالتهاب واستعار النار واللهيب، فهي تقرن الوساد باللهيب محاولة بذلك التعبير عن قوة ما تشعر به، وتواصل الشاعرة مناجاة الليل ومناداته إلى آخر القصيدة علّها تلقى إجابة، وعلَّه يشفي جرحها ، علَّه يرحمها ويرحم جسدها من الاحتراق بناره، علَّه يرمم قلبها المكسور، عَّله يغفر زلاتها، إلى أن تدرك أخيرا أن الليل هو قدرها المحتوم.

- في قصائد مبروك بن نوي* : يقول في قصيدة تحت عنوان "الكسوف":

«ليلان للنزف مدا في رؤى سعفي كف التوجع حتى أحشفت رطـــبي

قد جئت والبوح في عيني متقد فيذهل الرمل مسلوب الخطى خببي»[9]

اتخذ الشاعر من الليل رمزا للعاشق الوحيد المهموم الذي يشكو حزنه وألمه ونزيف قلبه، إنه ابن الصحراء الحزين الذي نزف جرح قلبه مُدَّ سعف نخلته، و أدّى به التوجع والألم إلى أن صار رطب نخلته حشفا غير صالح للأكل، فلم يعد يملك لنفسه شيئا غير الإفصاح عن مشاعره التي باتت تظهر بوضوح في عينيه. وعادة ما يوظف الشعراء الليل للتعبير عن آلامهم وأحزانهم وتذكر أحبابهم ومدى الاشتياق في قلوبهم، فالليل هو الحنين وهو المجال الخصب لإطلاق عنان أفكارهم وهو الشريك المفضل لمقاسمتهم الحزن والوحدة، ولليل الصحراء سحره الخاص الذي يفسح المجال أمام شاعرنا ليعبر عن مكنوناته كما يشاء، وربّما أراد الشاعر منّا أن « نحس بثقل الهموم على نفسه وكيف أنها انتشرت وامتدت في كل زاوية من زوايا نفسه في اطمئنان وهدوء وكأنها وجدت مكانها المريح »[10]

يقول الشاعر أيضا:

«فلتضربي الآن خط الرمل في غسقي واستقرئي الأنجم الحيرى من الشهب

شدي هنـــا قمرا ذابت منـــــازله وفصليــه كعرجـــــون من الحقب »[11]

بسبب البيئة الصحراوية التي نشأ فيها الشاعر نجده يوظف عناصر كالرمل والعرجون وغيرهما، ويطلب من العرّافة ضرب الخط بالرمل لمعرفة ما يخبئه المستقبل للعرب، وقد استخدم هنا الأنجم وهي جزء لا يتجزأ من الليل، استخدم أيضا الشهب والتي لا تظهر عادة إلا ليلا، وقد شبه العرب بالقمر الذي غاب واضمحل وطلب من العرّافة أن تحاول شدّه والامساك به والمحافظة عليه، وقد أراد الشاعر من توظيفه لهاته الرموز تبيان حال العرب وما آلت له أوضاعهم.

أما في قصيدة "عودة المجذوب" أو "الطواسين الأخيرة"، فيقول:

«يا سيدي المجذوب

يا سفر المدائن بالهوى في ذاتنا

الليل تابوت الأماني

والعشق آيته الجنون

والعقل غايته الظنون»[12]

يتنوع ويتعدد مدلول الليل في شعر مبروك بالنوي حسب حالته النفسية، فهو يرى في هذه الأبيات أنه تابوت لآماله وأحلامه ، تلك الأماني بالعودة واللقاء التي صارت في عين المبدع مستحيلة، وهي أماني تتعلّق بعودة غزة، وباسترجاع أمجاد العرب، فيقوم بنداء لسيدي الجذوب في كل مقطع ليشتكي له حاله وما يشعر به إزاء غزة المحتلة، فالليل هنا هو ذلك السواد واليأس الذي يشعر به الشاعر اتجاه حال الأمة العربية.

في موضع آخر يقول الشاعر:

«ما زلت في غسقي أرتب نشوة الآهات في وجلي تسيح

على فم النايات أغنية تمزق رهبة الليل المعربد في دمي

يقتات تفاح المجون على تمدد أوصال الكرى»[13]

إنه رجل يعاني من الآهات والأحزان المستمرة، فهو غارق في الخوف يحاول ترتيب مشاعره، وكما يعرف أن الناي يرمز للحزن فقد وظفه الشاعر توظيفا رائعا ليوصل للمتلقي صدق مشاعره اتجاه ما يحصل في أرض غزة المحتلة، لقد جعل الشاعر من الليل شيئا يتمزق بسماع أغنية تعزف على النّاي وتحطم غليان دمه، إنه يعاني قلة النوم والقلق الدائم بسبب أوضاع غزة وصراخ أطفالها.

- في قصائد الأزهر محمودي*: يقول في قصيدة تحت عنوان "لمن أشكو ؟":

«لمن شكواي في ليل السهـــــاد ومن يصغي إلى ما في فــؤادي

سقتني الحادثـــات بكف حزن شرابي غصـة والحـــزن زادي »[14]

يحتار الشاعر لمن يشكو قلقه وقلة نومه ليلا، ومن بإمكانه الإصغاء له ممن حوله ليشكو له آلام قلبه فقد صار الحزن لا يفارقه فهو شرابه وطعامه، لقد جعل الشاعر من الليل رمزا للحزن والضياع والألم على حاله وشقاءه في هذه الحياة، وفي قوله:

«وتفزعني منـــاظر في منـــــامي كأن الغيل موطـنها وســـادي »[15]

فيؤكد لنا في هذا القول معاناته وأرقه الدائم فبمجرد أن ينام تهاجمه المنامات المفزعة، فيشبه موضع نومه بموضع نوم الأسد من شدة ما يلاقيه من عذاب في نومه، إن الشاعر يعيش رهبة وخوفا كبيرا من الحياة ومآسيها فهو لا يعرف مصيره، ويحس بالغربة في موطنه، وقد وظف الشاعر الليل للدلالة عن خوفه وحزنه وشعوره بالوحدة والغربة.

يقول الأزهر محمودي في قصيدة "إلى امرأة تلدني كل يوم":

«لا ترحلي فيصير وجه الليل من حجر

فيعفر الزمن القديم برغوة الضجر

وتهاجر الأنوار والأطيار في السحر

عينان وحيهما أنين الآه والفكر

يا عمري المنسوج بالأحزان والسهر»[16]

لقد جعل المبدع من الليل إنسانا له وجه وبمجرد رحيل محبوبته يصبح وجهه من حجر، ويصيبه الضجر والقلق فتهاجر الأنوار والطيور، حتى صارت حياته مقتصرة على الحزن والسهر يبحث عن عينيها في ظلام الليل الطويل، وقد وظّف الشاعر الليل للدلالة على الحزن والعشق؛ فالليل هو مصدر إلهام الشعراء، وتنوع استخدام كل شاعر لرمز الليل، فتعددت بذلك صوره واستخداماته ودلالاته.

3- رمزيـــة النخلة في شعر إقليم الكثبان المعاصر:

كتب العديد من الشعراء الجزائريين المعاصرين عن الطبيعة بجل مظاهرها، وصوروا مظاهرها وعناصرها في أبهى صورة، ولعل النخلة عند الشاعر الصحراوي من أهم تلك العناصر التي تغنوا بها وزخرت بها قصائدهم ، والدارس للشعر الصحراوي الجزائري المعاصر يجده مليئا بصور النخلة التي عرفت بها الطبيعة الصحراوية، وقد تعددت استخدامات النخلة كرمز من شاعر إلى آخر لتأخذ دلالات وأبعادا جديدة.

- في قصائد هنية لالة رزيقة:

للنخلة العديد من الدلالات في قصائد شاعرتنا بسبب البيئة التي ولدت ونشأت فيها وهذا ما سنبحث عنه في قصيدة تحت عنوان "تراتيل لزمن الموت"، حيث تقول الشاعرة:

«مدفونة هذه الآهـــات في كبـــدي تروي بحورا بنز الدمع تبكيـني

والنخـــل غرَّد في الأحـــــزان مملكة من ذا يكفكف دمعا للقرابين »[17]

جعلت الشاعرة من النخل رمزا للحزن والألم، وقد شبهت النخل بالطير الذي يغني ألحانا حزينة، وربما كان هذا التشبيه رمزا للعلو والشموخ وبلوغ عنان السماء، وربما الصمود أمام ذلك الحزن الذي يعصف بقلب الشاعرة، فهو تحاول كفكفة دمعها الذي يغالبها، وتضيف الشاعرة قائلة:

«والنخـــل أودعني ســـرا يكتمـــه عن زرقة الموج في نبض العراجين

مـا زالت مسكونة في وصل ذاكرتي بكل عـــــاصفة تزوي الربيعين

خبئت في واحتي أصداء أغنيـــتي كي يشرق النبض في عمق الجليلين»[18]

يعود اهتمام الشاعرة بالنخلة لبيئتها وقد وظفتها كرمز في كل مرة يحمل دلالات مختلفة، فها هي قد جعلت منها إنسانا يمكنه الكلام فأودعتها سرها، وقد جعلت من العراجين أيضا إنسانا له قلب ينبض ونبضه يحدثها عن زرقة الموج، وتتحدث أيضا عن الواحة التي تحوي الكثير من النخل، والواحة هنا رمز للوطن الذي تشعر فيه الشاعرة بالأمان فتخبأ فيه حاجياتها، والوطن هو الذكريات وربما «يعود اهتمام الشاعر العربي برمزية النخلة، إلى أنها تمثل بالنسبة إليه الوطن الذي يمنحه الطمأنينة والسكينة، ويدفع عنه جبروت الصحراء ووحشة رمالها».[19]

أما في قصيدة "إفضاء لسامر الحرف" فتقول:

«فيحتسي النبض من أوهـــام قافيتي إيحاء مريم ما أفضت إحـــاءاتي

أبكيك واحته بالجـــرح أرسمهـــــا والجرح يرقص ليلا فوق أبياتي

نـــاي الهوى نز من أحداق نخـــلته أخفى بأقدار حلم رمل قبلاتي»[20]

مريم - عليها السلام - وقصتها هي المعادل الموضوعي للنخلة، وهي هنا رمز لصبر المرأة على الألم والجراح، وقد سعت الشاعرة هنا لتبيين ما تشعر به من خلال مزجها بين البكاء والجرح الذي يرقص ليلا فوق أبيات القصيدة، وكما قلنا سابقا فإن الناي رمز للحزن وقد سالت الأحداق بغزارة على الحلم الضائع، والنخلة هنا هي المرأة التي تعطي بلا حدود، وتبكي بكاء شديدا بسبب الحزن الذي يتملكها وبسبب أحلامها التي اختفت. وتضيف الشاعرة توظيفا آخرا للنخلة فتقول:

«العمر يمضي وعند النخل قصتنا فنم قليلا ولا تنهك نبـــوءاتي»[21]

استحضرت الشاعرة النخل هنا للدلالة على الوطن الذي يحمل ذكرياتها الجميلة والقصص التي عايشتها، ذلك الوطن الذي تحلم أن يصير أجمل وأفضل في المستقبل، بعد كل معاناتها وحزنها وآلامها ما زالت قيد الأمل بغد أفضل يحمل في طياته السعادة والطمأنينة لقلبها الجريح ممّا مضى.

-في قصائد مبروك بن نوي:

للنخلة العديد من الدلالات التي تعرف من خلال التأويل والتحليل، فهي الوطن والمرأة والشموخ والمقاومة والعطاء والصبر حت أصبحت تشكل رمزا لكل قضية إنسانية، ولكل شاعر حرية التصرف برمزيتها وهذا ما سنبحث عنه في قصيدة "الكسوف"، حيث يقول الشاعر:

«كيف استمالك جرح نز من شغب ملّ ابن نخلته في نـــــازف صخب

فالجرح عـــرّى عراجينا معصفرة هزّي إليك بجذع النخلة انتصـــبي

ليـــــلان للنزف مدا في رؤى سعفي كف التوجع حتى أحشفت رطــبي »[22]

يخاطب الشاعر هنا العرافة ويبحث عن أجوبة لتلك الأسئلة التي تملؤ رأسه، ويخبرها أن جراحه تنزف ولا تهدأ آلامه، وسبب تلك الجراح حال الأمة العربية، وقد استخدم الشاعر النخلة والعراجين والسعف والرطب للدلالة على أنه ابن بيئة صحراوية عربية خالصة، ويضيف قائلا:

« وهذه سعفـــاتي بت أجمعها حتى أشد بهـــا يـــا نخلتي نسبي

كم أتعبتني كرانيفي أنضدهـا إلى جذوع تنزى عمقهـــــا كرمي

فاستبدلت سعفي خيطا تطرزه واستبدلت بلحي الميمـون بالعنب»[23]

يصرح الشاعر بنسبه إلى الصحراء، والنخلة هنا هي الوطن أيضا، والشاعر يريد تأكيد نسبه وعروبته ويخبرنا عن مشقته في المحافظة على تلك الأصول الصحراوية والعربية في هذا الزمن الذي تغير فيه كل شيء، وربّما أراد من هذا الوصف أن يخبرنا عن تدهور حال العرب وتشتت أمرهم فقد شبههم بالكرانيف وهي الجذوع المتبقية في النخلة بعد قطع السعف، وكم يجد صعوبة في تنسيقهم وجمعهم، كما حال العرب الذين تفرقوا وتشتتوا، وهذا ما جعل الشاعر يشعر بالحزن والألم.

يقول أيضا في نفس السياق:

«ما عـــــاد يرقصني في هولها حذري عرافتي كيف مالت نخلـــــة العرب

فلتضربي الآن خط الرمل في غسقي واستقرئي الأنجم الحيرى من الشهب

شدي هنـــا قمرا ذابـت منـــــازله وفصليه كعرجـــــــون من الحقب »[24]

إنه يسأل العرّافة عن حال العرب ووحدتهم التي ضاعت، ويريد منها أن تنبأه بما يحمله المستقبل علّه يجد تفسيرا لما يحدث في زمنه هذا، يريد منها أن تبعث فيه الأمل من جديد، وتخبره بأن الحال سيتغير للأحسن وأنّ العرب سيستفيقون من سباتهم وينضمون بعضهم إلى بعض حتى يصبحوا كالعرجون الذي مر عليه زمن طويل حتى عاد إلى طبيعته.

يقول كذلك:

«من بـــــاع نخلته تنحل نخوتـه والأرض كالعرض لو أوغلت في الطلب

عرافتي غرقي النجمات في وجـعي قبل الصبـــاح وضمّي الغيب و ارتقبي»[25]

النخلة هنا أيضا الوطن والأرض، ويرى الشاعر أن من باع أرضه ووطنه قد باع معها رجولته وشهامته وكرامته، وقد شبّه الأرض بالعرض الذي لا يمكن التفريط به، ويعود توظيفه لرمز النخلة إلى عمق تفاعله مع محيطه، ومقدرته على استنزاف كل الدلالات الممكنة، ذلك «أن الشاعر المعاصر لم يعد يواجهنا بالأفكار التي

يريد إيصالها، والعواطف التي يرغب في التعبير عنها، بطريقة مباشرة، وإنّما هو يلجأ إلى الإفصاح عنها بواسطة ما يعادلها موضوعيا من عناصر الطبيعة أو ما يربط بها»[26]، وهو يناشد العرّافة أن تحاول معرفة الغيب وتنبأه باقتراب الصباح وانجلاء العتمة وزوال الوجع.

-في قصائد عبد الله إيمرزاغ*: يقول في قصيدة بعنوان "فلسفة الجراح":

«ما بـــالها كلّما هبت شمـــائلها عادت تواري كفوف الرمل كثبانا

البحر يعلم أن الرمل يحرسـني لو ارتديت جراح النخـل أكفانـــا»[27]

لقد جعل الشاعر من النخل لباسا أو كما قال كفنا يغطيه وهذا للدلالة على حزنه الشديد الذي يكاد يقتله فهو يلفه لفاً، وقد جعل من النخل أيضا إنسانا تملؤه الجراح والأحزان وهذا بسبب شوقه الشديد لحبيبته، ويضيف قائلا:

«طوبـاك ملهمتي يا فجر أزمنتي فالحلم يقرأني في الوجد أشجانـا

تضخمت فلسفات الجرح أسئلة فالموج يسمع همس الروح أحيانا

والموج لحن نشـــاز صار يخرصه وريد نخل يزف القبر ألحانـــــا»[28]

يرسم لنا الشاعر صورة لما يحدث معه، فهو يخاطب ملهمته ويرى فيها الأمل والنور الذي يضيئ له حياته وبرحيلها تكثر الأسئلة في رأسه حتى تسمع أمواج البحر همس روحه وألمه، وصارت الأمواج تعزف لحنا لا يستطيع هو سماعه بسبب الألم والحزن الذي ألّم به، والنخلة هنا إنسان له قلب ودقات ذلك القلب الذي يعزف لحن الموت والقبر.

حرص الشاعر الجزائري المعاصر على توظيف عناصر الطبيعة؛ لأنها تشبهه في الإحساس والوظائف وربّما حتى في الصفات، وبالتالي كانت الرموز الطبيعية الوسيلة للتعبير عن نفسه، «وقد استطاع الشاعر العربي المعاصر أن يواكب النقلة الأدبية الجديدة في العالم، فوجد في لغة الرمز الأدوات التي توصل الحقائق والغايات، ولا تكتفي بالتوصيل والإيصال فقط، بل ترسخ ذلك في الأذهان وتثبته، ولا شك أنّ الإنسان لا يتذكر ولا يسر إلاّ بالأشياء التي أدركها بعد لأي ومشقة وإعمال فكر »[29]، وشعر الكثبان المعاصر يزخر بالعناصر الطبيعية، ومن أهمها الليل والنخلة لأنهما ما يميز الصحراء عن سائر البلاد.

4. خاتمة:

نخلص في ختام هذه الورقة البحثية إلى ما يلي:

- للرمز مكانة مرموقة في شعر إقليم الكثبان المعاصر بكافة أنواعه؛ لأنّ الشعراء وجدوا فيه أداة التعبير المناسبة التي تمكنهم من حرية التعبير عن أفكارهم وآرائهم وتجاربهم الشعورية بلغة جديدة.

- لا تكاد تخلو قصيدة من المجموعة الشعرية الموسومة بتباريح النخل من الرمز، وخاصة منه الرمز الطبيعي.

- كانت الطبيعة وما زالت مصدر إلهام للشعراء فكان تفاعلهم معها على أنها أشياء تحيط بهم ولذلك صوروها تصويرا صادقا.

- استلهم شعر الكثبان المعاصر دلالات لرمزي الليل والنخلة فمنحوهما أبعادا متنوعة مرتبطة ارتباطا شديدا بشعورهم وبمحيطهم وبقضايا الأمة العربية والإسلامية و بقضايا الإنسانية عامة.

- تجاوز مفهوم الليل كونه ظاهرة طبيعية عند شاعر الكثبان المعاصر، ليوظف لدلالات أخرى تتعلق بقضية كل شاعر وبإحساسه ومشاعره وأحزانه وقلقه الذي لا ينتهي.

- النخلة رمز من رموز الطبيعة الصحراوية، فقد ارتبط بها شاعر الكثبان ارتباطا وثيقا لأنها أصله ونسبه وعروبته التي لطالما اعتز وفخر بها.

- يعتبر استخدام الرموز عند الشاعر الجزائري الصحراوي المعاصر دليل على ثراء الرمز الشعري وقوة التعبير.

5. قائمة المراجع:

•لوحيشي ناصر، الرمز في الشعر العربي،2011 ، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1.

•اسماعيل عزالدين، التفسير النفسي للأدب، القاهرة، مصر، دار غريب للطباعة، ط4.

•الطباع عمر فاروق، فنون الشعر العربي، 1992، بيروت، لبنان، دار القلم، ط1.

•مبدعو الجنوب، تباريح النخل، 2010، الوادي، مديرية الثقافة لولاية الوادي.•

•ناصر محمد، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية، 1985، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

•ملاس مختار، دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث عبد الله البردوني نموذجا، 2002، الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

[1]- ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، ط1 ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011 ، ص60 .

[2]- عمر فاروق الطباع: فنون الشعر العربي، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان،1992 ، ص88 .

*هنية لالة رزيقة: من مواليد19 مارس 1989 في دائرة عين أمقل، ولاية تمنراست، درست الأطوار الثلاثة بالولاية حتى الصف النهائي ثم تخرجت من نادي ضياء القوافي في التكوين في الكتابة الأدبية فن القصيد بدرجة جيد، شاركت في العديد من الأمسيات وعكاظيات الشعر، كما أشرفت على إصدار داخلي لمجلة ضياء القوافي ومدونته الإلكترونية.

[3]- مبدعو الجنوب: تباريح النخل، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الوادي، 2010، ص39.

[4]- المصدر نفسه، ص41.

[5]- المصدر نفسه، ص41.

[6]- المصدر نفسه، ص44.

[7]- المصدر نفسه، ص46.

[8]- المصدر نفسه، ص47.

*مبروك بن نوي: من مواليد 09 جويلية 1972 بعين صالح، متحصل على شهادة منشط الشباب في مجال الموسيقى، شارك في عدة ملتقيات وتظاهرات ثقافية، رصيده الشعري يتجاوز 400 قصيدة ما بين تفعيلة وعمودية وشعبية، شارك في الربيع الأمازيغي تيزي وزوأفريل 2003.

[9]- المصدر نفسه، ص73.

[10]- عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط4، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر، ص82.

[11]- مبدعو الجنوب: تباريح النخل، ص74.

[12]- المصدر نفسه، ص82.

[13]- المصدر نفسه، ص84.

*الأزهر محمودي: شاعر من وادي سوف، أستاذ لغة عربية، طالب ماجستير نقد وأدب جامعة بسكرة، له مخطوط شعري بعنوان: وتر للجراح، شارك في ندوة الشابي التكريمية، له قصائد منشورة في الشبكة العنكبوتية.

[14]- المصدر نفسه، ص94.

[15]- المصدر نفسه،ص94.

[16]- المصدر نفسه، ص،ص95 ،96 .

[17]- المصدر نفسه، ص،ص 39،40 .

[18]- المصدر نفسه، ص42.

[19]- مختار ملاس: دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث عبد الله البردوني نموذجا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 2002، ص56.

[20]- مبدعو الجنوب: تباريح النخل، ص49.

[21]- المصدر نفسه، ص50.

[22]- المصدر نفسه، ص73.

[23]- المصدر نفسه، ص73.

[24]- المصدر نفسه، ص74.

[25]- المصدر نفسه، ص،ص75،76 .

[26]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص528.

*عبد الله إيمرزاغ: من مواليد 1991، بولاية تمنراست تخرج من نادي ضياء القوافي في التكوين في الكتابة الأدبية فن القصيد بدرجة جيد، نال الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية لدار الثقافة تمنراست 2009، شارك في عديد الأمسيات و العكاظيات الشعرية.

[27]- مبدعو الجنوب: تباريح النخل،ص145.

[28]- المصدر نفسه، ص145.

[29]- ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي المعاصر، ص60.